بر الوالدين
ومكانة الأم في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلّم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين. **أما بعد:**

فقد دعا الإسلام إلى برّ الوالدَين والإحسان إليهما، وقد دلّت على ذلك نصوص القرآن الكريم، حيث قال الحق سبحانه: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)** (الإسراء:23-24).

كما أولى الإسلام الأمّ اهتماماً خاصاً، بقدر بذلها وتعبها، فهي التي قاست أشهر الحمل، وعانت آلام الولادة، وسهرت، وأرضعت، وربت، وتحملت الكثير والكثير من أجلك. قال تعالى: **(وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)**. {لقمان:14}.

وأما نصوص السنة النبوية التي تؤكد على مكانة الوالدين وخاصة الأم في الإسلام وأنهما أكثر الناس حقا على العبد بعد حق توحيد الحق سبحانه وتعالى فأكثر من أن تحصى، وتخصيص مكانة الأم في الإسلام بهذه القيمة دليل على تكريم الإسلام للنساء، وها هي بعض نصوص السنة النبوية:

أولا: برّ الوالدَين والإحسان إليهما سببٌ في البركة بالعمر والرّزق الواسع، وذلك لِقول رسول الله ﷺ: **(مَن سَرَّهُ أنْ يُمَدَّ له في عُمُرِه، ويُزادَ في رِزقِه، فلْيَبَرَّ والِدَيهِ)**. [مسند الإمام أحمد].

ثانيا: برّ الوالدَين والإحسان إليهما سببٌ في نيل رضا الله تعالى، وذلك لِقول رسول الله ﷺ: **(رضا الرَّبِّ في رضا الوالدِ وسخطُ الرَّبِّ في سخطِ الوالدِ)** [سنن الترمذي].

ثالثا: برّ الوالدَين والإحسان إليهما أحد أسباب إجابة الدعاء وتفريج الهموم والكربات، وذلك لِقول رسول الله ﷺ: **(انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ حتَّى أوَوْا**

المَبِيتَ إلى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عليهمُ الغَارَ، فَقالوا: إنَّه لا يُنْجِيكُمْ مِن هذِه الصَّخْرَةِ إلَّا أنْ تَدْعُوا اللَّهَ بصَالِحِ أعْمَالِكُمْ)، وكان أحد الثلاثة كثير البرّ بوالدَيه، فلم يكن يُقدِّم عليهما أحدٌ في شرب اللّبن، إلّا أنّه قد تأخّر عليهما يوماً فناما، فأخذ ينتظر استيقاظهما حتى بزغ الفجر فسقاهما، فقال رسول الله ﷺ على لسانه: **(اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه مِن هذِه الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شيئًا)** (رواه البخاري).

رابعا: برّ الوالدَين والإحسان إليهما أحد أسباب مغفرة الذُّنوب وتكفيرها، وذلك لِما ثبت عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه– قال: (أتى رسولَ اللهِ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ إنّي أذنَبْتُ ذنبًا كبيرًا فهل لي مِن توبةٍ؟ فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: **ألكَ والدانِ؟** قال: لا قال: **فلكَ خالةٌ؟** قال: نَعم قال: **فبَرَّها إذًا)** **[صحيح ابن حبان].**

خامسا: برّ الوالدَين والإحسان إليهما أقرب الأعمال الموصلَة إلى الجنّة بعد الصلاة على وقتها: وذلك لِما ثبت عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه– قال: (يا نَبِيَّ اللهِ، أيُّ الأعْمالِ أقْرَبُ إلى الجَنَّةِ؟ قالَ: **الصَّلاةُ علَى مَواقِيتِها** ، قُلتُ: وماذا يا نَبِيَّ اللهِ؟ قالَ: **برُّ الوالِدَيْنِ)** **[رواه مسلم]** .

وقد حذر الإسلام من عقوق الوالدين، فالعقوق من أكبر الكبائر عند الله تعالى، يحمل الرقم الثاني بعد الشرك بالله تعالى في القائمة السوداء التي تُضيّع الإنسان في الدنيا والآخرة، قال النبي ﷺ: **« أَلا أُنَبِّئُكُمْ بأَكْبَرِ الكَبائِرِ قُلْنا: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: الإشْراكُ باللَّهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ »** **[صحيح البخاري].**

وقد جعل الله تعالى عقوبة العاق لوالديه تُعجَّل في الدنيا قبل الآخرة، وفي الحياه قبل الممات، قال النبي ﷺ: **« كلُّ ذنوبٍ يؤخِرُ اللهُ منها ما شاءَ إلى يومِ القيامةِ إلَّا البَغيَ وعقوقَ الوالدَينِ »** **[الأدب المفرد للبخاري].**

وفي هذه الأيام وضع الناس يوما خاصا للاحتفال بالأم، حيث يهتمون بها ويصلونها ويقدمون لها الهدايا، ولكن الإسلام أوصى بالاهتمام بالأم على الدوام، فهي أكثر ما يجب على المسلم أن يعتني به، وهي أحق الناس بحسن صحبته، كما ثبت أنه: **(جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ**

صَحَابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أَبُوكَ) (رواه البخاري).

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك؟ فقال: **هل لك أم؟** قال: نعم، **قال: فالزمها فإن الجنة تحت رجليها.** (رواه النسائي)، قال العلماء: إن التواضع للأمهات سبب لدخول الجنة، وأن المعنى أن الجنة أي نصيبك منها لا يصل إليك إلا من جهتها.

إن الوالدين في الإسلام لا يحتاجان إلى يوم خاص ليسعدا فيه سعادة مؤقتة، وإنما يحتاجان إلى الرعاية والاعتناء بهما طوال العام، بل في كل زمان وفي كل مكان كما أمرنا الله تعالى، بل إن النبي ﷺ بين لنا أن بر الوالدين لا يكون في حياتهما فقط، بل يمتد لما بعد موتهما أيضا، فقد جاء رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله؛ هل بقي من بر أبويَّ شيءٌ أبرهما به بعد موتهما؟ قال: « **نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**» [سنن أبي داود].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل البر والإحسان، وأن يغفر لنا تقصيرنا وتفريطنا، فالله أعلم بالنوايا، وما اشتملت عليه الطوايا **(رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا)** [الإسراء: 25].

وكتبه: فضيلة الشيخ: **عمرو يوسف الجندي** مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.